المحاضرة رقم 10: الآداب الآسيوية المعاصرة (الأدب الصيني)

أثبت الأدب الصيني على مرّ التاريخ قدرته العالية على الإبداع والتميز، فقد عرف بالقصص التاريخية الطويلة والشعر الكلاسيكي. ومرّ بعد ذلك بكثير من التطوّرات التي جعلته ينفصل عن ماضيه، خاصة بعد اتصاله بالآداب الأخرى، وسيطرة الحزب الشيوعي ومبادئه وتسييره لأدباء، ثم انفتاحه على الحركات الفنية العالمية مع منتصف السبعينات من القرن الماضي.

أ- الشعر الصيني المعاصر:

مرّ الشعر الصيني بعدّة مراحل في القرن العشرين، تراوحت بين الازدهار والجمود، أولها كانت:

- **مرحلة عصر الأغاني والأناشيد في الشعر الصيني:**

امتدت من عام 1949 إلى 1976، حيث سار الشعر الصيني بخطوات سريعة خاصة في المناطق المحررة، التي ولدت الجمهورية الصينية فيها، فجاء الشعر مفعما بمشاعر النهوض والتحرر والفخر القومي، أما موضوعاته فلا تخرج من نطاق "الشعب والوطن والحزب"، وهكذا قاد الشعراء الصينيون في هذه الفترة – الخمسينيات- نضالا مريرا وصعبا، جاء متواكبا مع التطوّرات التاريخية التي ميّزها المد الشيوعي: «عبرت عن حرب مقاومة العدوان الأمريكي ومؤازرة كوريا»[1]، فهي أشعار مرتكزة على الوطن وأولويات الشعب، من أجل إيصال الإحساس القومي لعامّة الصينيين.

فقد وجد الشعر البيئة والظروف المساعدة على ازدهاره وانتشاره في ظل التطورات التاريخية التي عرفها الشعب الصيني، والموضوعات الجديدة التي فتحت له مجالات التنوع في القضايا، وتوجهات الشعر في هذه المرحلة هي:

[1]- هاو قوشينغ، الأدب الصيني في القرن العشرين، ج2، تر: حمدي عبد العزيز (عبد العزيز)، المركز الثقافي القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015، ص 325.

أولا– أشعار السلم والوطن

منها قصيدة "أعظم أعيادنا" للشاعر "خه تشي فانغ"، وهي قصيدة وطنية تتغنى بمشاعر النهوض والوطنية والتضحية والنضال من أجل تأسيس الجمهورية الصينية الشعبية، كما هي قصيدة "بعد مناقشة الدستور"، وقصيدة "مدح الصين الجديدة" كوموروا، وقصيدة "نرفع علمنا عاليا ذا النجوم الخمسة" لـ "خه تشونغ بينغ".

وتميز الشعر الصيني في النصف الأوّل من القرن العشرين، بالتركيز على الإنسان الصيني في ضوء التطوّرات التاريخية العالمية، وبالحشد والتمجيد لمشاعر التفاؤل والطموحات والآمال، أما من الناحية الفنية فقد عرف بـ: «نغمة شعرية مرتفعة ورنانة، وفيها جرأة عظيمة، لغة حادة وقاطعة»[1]، هذا توافقا مع الإحساس العالي الذي يهدف الشاعر لإيصاله، فقد تعالت حناجر الشعراء بالغناء من أجل توحيد أراضي الصين، وهو شعر واقعي بالدرجة الأولى، لهذا جاءت لغته واضحة وصافية ومنشدة للعصر الجديد من الصين ومن الشعر الصيني.

ثانيا– أشعار الإشادة بالعمل الكادح والبناء

بعد انخراط الشعراء في الحياة الاشتراكية، وبناء الوطن والتنقيب عن ثرواته وخدمة أراضيه، نادوا في أشعارهم وأناشيدهم المقدسة للعمل والبناء، وهكذا جاءت أشعار "لي جي" المسمى بشاعر البترول مفعومة بالحماسة والإنشاد للوطن الجديد، خاصة قصيدة "حجر زهور الأقحوان"، والشاعر "يوان تشانغ جينغ" بقصيدة "حلزوني بحري ذهبي" التي يتغنى فيها بالزراعة والسهول في داخل الوطن، و"تشانغ تشي" في قصيدة "الجو العام الجديد في الريف" وأنشد فيها: «للجو الاشتراكي الذي انبثق في حركة التعاونيات الزراعية»[2]، فقد حظيت المداخن والمزارع والمناجم بكم معتبر من الأشعار.

[1]– هاو قوشينغ، الأدب الصيني في القرن العشرين، ج2، ص 326.
[2]– المرجع نفسه، ص 327.

وهتف الشعراء بتشييد الطرقات وبناء المدارس والقيم الاجتماعية العليا، كما «حظيت المداخن السامقة كأشجار الغابة التي انخرط فيها البناءون، وغليان الحديد المنصهر، والفحم الأسود الفاحم، وتدفق البترول»[1]، حيث كانت الإشادة بالاشتراكية عقيدة الشعراء، وبث الحماس في نفوس العمال هدف لهم، أما النغمة الحماسية العالية والفخر هي سمة القصيدة.

ثالثاً– الشعر الساخر

وهو شعر تهكمي اتخذه الشعراء كأسلوب مكاشفة حاولوا من خلاله إظهار تنوع الحياة الواقعية، من خلال أساليب السخرية والرمز، من أجل إظهار التناقضات الحادة بين الحاضر والمستقبل وبين الشاعر والعقل، كما تناول الشعر التهكمي التصرفات السيئة الراهنة، من ذلك ما كتبه الشاعران "تشينغ قوانغ روي" و"تشي بيه أو"[2].

رابعاً– القصائد القصصية

وظهرت مع نهاية الخمسينيات وحققت نجاحا كبيرا، موضوعها الحديث عن سيرة وإنجازات عظماء أمة الصين، ومنها قصيدة "سيرة يانغ قاو" للشاعر "لي جي"، و"ثلاثية الجنرال" للشاعر "قاو شياو تشوان"، وقصيدة "البطل التاريخي لي داجين" للشاعر "قيه بي تشو"، وقصيدة "سيمفونية باي يون خه بو" ليوان تشانغ، وكتبت القصائد باللغة العامية وتميزت بطابع فريد جمع بين السرد والقافية.

ومن خصائص الشعر الصيني في هذه المرحلة:

- الأسلوب الواقعي الواصف الموجه لخدمة الشيوعية الصينية.
- ظهور أنواع شعرية مواكبة للتطوّرات التاريخية والتغيّرات الاجتماعية، المرتبطة بالفكر الشيوعي: كالشعر الريفي وشعر المحافظات وشعر المصانع والغزل السياسي وسعر السرية.

[1]– هاو قوشينغ، الأدب الصيني في القرن العشرين، ص 327.
[2]– المرجع نفسه، ص 332.

- اللّغة الحادة النابعة من الحماس والموضوعات الوطنية، تخللتها العبارات السياسية والشعارات القوية والمباشرة، والجمل الطويلة.

- استخدام الشكل الشعري التقليدي والقوافي والسجع والإيقاع الواحد المتكرر، والنغمة المرتفعة والرنانة.

- كثرة استخدام التشبيه وأساليب البلاغة.

- **مرحلة الشعر الواقعي المعاصر والانفتاح:**

وتمتد هذه المرحلة من عام 1976 إلى 1989، أي بعد رحيل رئيس الوزراء الصيني "شواين لاين"، وهي مرحلة أظهرت تناقضات بين طوائف الشعب وصراعات حول السيطرة على النظام، وكانت فترة انفتاح وإصلاحات شاملة. فجاء الشعر وسيلة الجماهير للتنديد بكلّ التجاوزات، فكان لهذا أثر إيجابي على الإبداع الشعري، الذي عرفت فترة ازدهار لم يسبق مثيلها.

وارتبط الشعر بما يسمى حركة "4 ماي" وهي حركة سياسية – شعرية فيما بعد– قامت على اختيار الشعر سلاحا في وجه الدكتاتورية، وتدعو إلى مواكبة الشعر للحركات الفنية الحداثية، وهذا ما ولّد شعراً جريئاً مستقلاً عن الغرض السياسي، وشعر متحرر لا يخدم إلا الحرية الفكرية، «تتحلى الأعمال الشعرية بالنموذج القومي الحقيقي الكامل وبالأسلوب القومي، وتحظى هنا أشكال الشعر وثراؤه بالتجسيد الكامل»[1].

كان معظم شعراء هذا العصر من اليساريين، والمشاركين الأقوياء في الحياة الاجتماعية، وهذا ما أدى إلى تعميق موضوعات الشعر، كما هو عند الشاعر "ليه شوبان" في قصيدة "العشية تصيح بالغناء"، والشاعر "يه ونفو" في قصيدة "أيّها الجنرال ! لا يمكن إنجاز الأعمال على هذا النحو"، وكلّها قصائد مناهضة للجهل وتقدم الحلول من أجل وطن أقوى للصينيين.

[1]– هاو قوشينغ، الأدب الصيني في القرن العشرين، ص 388.

تيار الشعر الجديد (الشعر الغامض):

وهو تيار عرفته الصين بداية الثمانينات من القرن العشرين، تجاوز به الشعراء تقاليد الشعر الصيني في هذه المرحلة، «قدمت كوكبة من الشعراء الشبان، الذين عانوا من الآلام المعنوية، منجزات فنيّة جديدة في الأوساط الشعرية، وحكمت قصائدهم أسلوب الواقعية التقليدي في الشعر»[1]، وظهر هذا بعد احتكاك الشعر الصيني بالأدب الغربي الحديث.

ومن خصائصه الرمز والعمق في الفكرة، والتركيز على الحياة النفسية، وتوارد الخواطر والأوهام، وهذا ما تميّزت به الشاعرة "تشين غمين"، والشعراء "جيانغ خه" و"يانغ ليان" ومن قصائد هذين الأخيرين: "باغودة دايان" و"نواري ليانغ" و"نصف الجرف" و"مدينة دونغ هوانغ" وقصيدة "الشمس وأشعتها المنعكسة".